العدد الثاني

جمادى الأول ١٤٢٧هـ يونيو ٢٠٠٦م

نابلس مدينة العلم الثانية في فلسطين

76 نابلس مدينة العلم الثانية في فلسطين

□ محمد خالد آل كلاب

ربما لا يحتاج الأمر إلى مزيد من إثبات أو حشد أدلة تثبت أن مدينة القدس هي المدينة الأولى من مدن فلسطين التي تزخر بوفرة وافرة من العلماء والمكتبات ، بل إنها تعدّ من أوائل المدن العلمية وأكثرها علماً في العالم ، ولعل السبب في هذا يرجع لقداسة المكان وما يتمتع به من مكانة قوية وعظيمة في قلوب المسلمين من جميع أنحاء العالم ، وغير ذلك من الأسباب ، والمناسب تفصيلها في غير هذا المكان .

ولكن الأمر الذي أريد الحديث عنه في هذه الأسطر وأبيّنه في هذه الكلمات هو بيان حاضرة العلم الثانية في فلسطين ألا وهي مدينة نابلس بلد العلماء النجباء والمجاهدين العظماء .

نعم . . في كثير من مدن فلسطين كمدينة الرملة وعكا وحيفا وغزة وغيرها كانت النهضة العلمية فيها زاخرة ، والعلماء موجودون بأعداد وافرة ، ولكن . . . بمثل مدينة نابلس فلا .

عرفت نابلس بكثرة علمائها وانتشار المكتبات فيها، ووجود المدارس العلمية الوافرة فيها وهذا من أسباب تألقها في سماء فلسطين

● فقد عرفت نابلس بكثرة علمائها وانتشار المكتبات فيها ، ووجود المدارس العلمية الوافرة فيها ، حتى أن مخلصاً لما أراد وصفها قال : (وكانت نابلس بلد العلم في فلسطين لوفرة علمائها وكثرة مدارسها العلمية وشبانها)(١)

هذا الأمر الذي جعلها تتألق في سماء فلسطين ، محتلة المنصب الثاني

●●●

١- تراث فلسطين في كتابات عبدالله مخلص (14-15) .

بكونها ثاني أكبر مدن العلم في فلسطين .

وتنوعت حضارة نابلس العلمية بتنوع المعارف وعلومها من جهة ، وبتنوع مراكز العلم التي ينبثق منها العلم والمعرفة وغيرها من أنواع الفنون من جهة أخرى .

والحديث عن الحياة العلمية في نابلس بشكل عام يطول ولربما يخرج معنا عن حدّه - والذي إن فسح للقلم المجال لكتب مجلدات - ولكن أولي الإيجاز والاختصار ، وأتحدث في هذه العجالة عن جانب لم يوفى ، وهو موضوع مهم ومعلم خطير من معالم النهضة العلمية والحياة المعرفية التي تمتع بها هذا البلد المبارك - بلد الأنجاد الأحرار .(2)

ألا وهي خزائن التراث ودور الكتب التي كانت ولا يزال موجوداً بعضها في هذه البقعة العلمية والتي مازالت بلدة رحلة يبمم شطرها على مر الأزمان .

بيوت العلم

من أشهر بيوت العلم في نابلس

آل الجوهري وآل صوفان والقدومي وآل الكرمي وآل السفاريني وآل هاشم وآل عاشور وآل التميمي

لقد كان في نابلس من بيوت العلم ذوات العدد ، من أشهرها آل الجوهري وآل صوفان القدومي وآل الكرمي وآل السفاريني وآل هاشم وآل عاشور وآل التميمي وغيرها من البيوت التي كانت مدارس لوحدها تبث العلم وتنشره في أنحاء المعمورة ، وكما كانت هذه البيوت حافلة بالعلماء وطلاب العلم يولون شطرها ويممون جهتها لينهلوا من علومها ويكرعون من معارفها فقد كانت كذلك حافلة بخزائن للمخطوطات والكتب والمؤلفات التي يعزّ

●●●

(2) هكذا كان يسميهم أديب الشام الكبير علي الطنطاوي في غير ما وضع في مؤلفاته (صور وخواطر) ص266

وجودها في بلد آخر . وتعتبر نابلس من القديم وما زالت من بلاد الحنابلة التي سارت على مذهب الأمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، وغالب علمائها هم من علماء الحنابلة المبرزين ، بل فيهم من المجتهدين في المذهب وسارت بفتواهم الركبان أمثال الإمام السفاريني ، والإمام مرعي الكرمي والإمام عبد الله صوفان القدومي (1331هـ) وغيرهم من العلماء ، كالشيخ سعيد الكرمي وأمثاله ، يقول المؤرخ الجليل عبد الله مخلص رحمه الله تعالى عن نابلس : (نابلس وما حولها من القرى هي موطن الحنابلة اليوم) (الزهراء م1/ 504) .

ذاع صيت الخزائن العلمية في الأقطار بما حوت من نفائس الكتب والمخطوطات

●●●

● ولقد كانت هذه الخزائن من الشهرة والمكانة بمكان ، بل ذاع صيتها في الأقطار وعرفت نفائسها في الأمصار الأمر الذي جعل كبار العلماء والأدباء يراسلون أربابها يستفيدون من نفائسها ويستنسخون نوادرها ، فقد ذكر الأستاذ محمد عزة دروزة قصة طريفة في مذكراته فقال : (ولقد كلفني العالم المشهور المصري أحمد تيمور باشا أن أبحث عن بعض المخطوطات في مكتبات بيوت ومساجد نابلس فوجدت مخطوطة في الجغرافية والتاريخ يرجع تأليفها إلى بضعة عصور في دار الجوهري وأخبرته به فطلب أن أستعيرها وأرسلها إليه فصورها وأعادها)(ذكريات محمد عزة دروز 541/1) .

● ويذكر الأستاذ عبد الله مخلص رحمه الله قصة مراسلة علامة العراق الكبير محمود شكري الألوسي رحمه الله لاستعارة بعض مخطوطات فلسطين فيقول : (جاءني مرة أحد الوراقين من القاهرة وقال لي إن علّامة العراق السيد محمود شكري الألوسي كتب إليه يعلمه بأن في مكتبة الشيخ نعمان هاشم بنابلس نسخة من كتاب العقل والنقل - تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله - وأشار عليه بالبحث عنها وطلب إليّ أن أساعده

على تحقيق هذه الأمنية) (مجلة الزهراء م1 ج8/ 504) .

ويعتبر الأستاذ محمد عزة دروزة – هو ابن نابلس – (ت 1402هـ –1982م) أول رجل تراثي عرف بنفائس مخطوطات نابلس ووصف بعض نوادرها وذلك في مقاله المتع : (وصف بعض المخطوطات في خزائن بيت الجوهري في مدينة نابلس وخزانة آل سفيان في نابلس أيضاً) والذي نشره في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق م4 (1924م) صـ453– , 457 وأعاد نشره الدكتور صلاح الدين المنجد في كتاب (المخطوطات العربية في فلسطين ص74– 77) ، وقد قام الأستاذ دروزة بوصف خمس مخطوطات في خزانة آل الجوهري ومخطوطة واحدة في خزانة آل صوفان وكلها في نابلس .

● وتعتبر خزائن المخطوطات في نابلس من أهم الخزائن والمكتبات في فلسطين لما حوت في مخادعها وعلى رفوفها من أمات النفائس والنوادر من المخطوطات والمؤلفات التي يعز وجودها في بلد أخر .

قام الأستاذ دروزة بوصف خمس مخطوطات في خزانة آل الجوهري ومخطوطة واحدة في خزانة آل صوفان وكلها في نابلس

خزائن آل الجوهري

ومن هذه الخزائن الجليلة (خزانة آل الجوهري) :

وهذه الخزائن ذكرها مجملة محمد كرد علي في خطط الشام (6/ 197) ، وقال عنها فيلب طرّازي : (لآل جوهري في نابلس خزانة كتب قديمة العهد تعد من أهم الخزائن الخاصة في تلك المدينة وفيها مخطوطات نفيسة . . .) (1)

●●●

(1) (خزائن الكتب) 1/ 294

ويبلغ عدد مخطوطاتها 52 مخطوطة (1) صورت جميعها على ميكروفيلم (16ملم) في نسختين واحدة في مركز التوثيق والمخطوطات بجامعة النجاح الوطنية بنابلس والأخرى بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية في عمان(2) .

وقد أصدر مركز التوثيق والمخطوطات بجامعة النجاح الوطنية بنابلس (1401هـ 1990م) فهرساً بعنوان (فهرس مخطوطات المكتبة الجوهرية في نابلس 1990م) من إعداد : محمود عطا الله .

ومن أهم نفائس هذه الخزانة :

1- الرسالة الجوهرية لطالب شرح حل الآجرومية لعبد الله بن عبد الغفور بن محمد بن علاء الدين بن عبد القادر الجوهري .

2- العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية لمحمد أمين عابدين 2جزء ، راجع (المخطوطات الإسلامية في العالم - مؤسسة الفرقان 3/ 456-457) .

الرسالة الجوهرية والعقود الدرية من نفائس خزانة آل الجوهري

●●●

خزانة آل صوفان

ومن خزائن نابلس أيضاً (خزانة آل صوفان) :

وهي من جملة الخزائن التى ذكرها محمد كرد علي مجملة في كتابه (خطط الشام 6/ 197) وقال عنها فيليب طرّازي : (وفي نابلس أيضاً خزانة كتب لآل صوفان لا يقل عدد مخطوطاتها عن مخطوطات مكتبة آل

(1) ذكر الأستاذ حمد أحمد عبد الله يوسف في مقاله (مخطوطات فلسطين) كما في مجلة معهد المخطوطات م 41(ج1/ 325-329) أن مخطوطات هذه المكتبة تبلغ حوالي75مخطوط) .

(2) دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ص 192

الجوهري ومن أهمها مخطوط نفيس عنوانه : (مناقب الإمام أحمد بن حنبل) من تأليف الحافظ ابن الجوزي جاء في آخره هذه العبارة : (وافق الفراغ منه ضحى يوم الإثنين ثالث ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة) ويُقرأ على أحد هوامشه : «قوبل فصحح بخط مصنفه» (خزائن الكتب (1/ 295) .

وهذا المخطوط الذي ذكره فيليب طرّازي هو المخطوط الذي قام الأستاذ محمد عزة دروزة رحمه الله بالتعريف به ووصفه في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق م4 (1924) (457 -456) .

● ويقول الأستاذ خضر سلامة- مدير مخطوطات المسجد الأقصى - (وهي مكتبة خاصة بآل صوفان وليست خاصة للباحثين ، والمعلومات المتوافرة حالياً تشير إلى أنها نقلت إلى الأردن في عام 1990م ومكانها الحالي غير معلوم وهي مجموعة صغيرة بها أربعة مخطوطات عربية أهمها نسخة من كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي . . . . ويبدو أنه لا توجد مصغرات فيلمية لمخطوطات هذه المكتبة كما لا يوجد لها أي فهرس منشور أو غير منشور)(1) .

مناقب الإمام أحمد بن حنبل من أهم المخطوطات النفيسة في خزانة آل صوفان

* قلت : ولعل هذه الخزانة مما تأثرت بعد النكبة المشهورة لفلسطين إما بالنهب والسرقة أو التدمير والتخريب ، فإن طرّازي وصفها قبل عام 1947م بأن عدد مخطوطاتها لا يقل عن عدد مخطوطات آل الجوهري (2) .

●●●

(1) كما في كتاب (المخطوطات الإسلامية في العالم - نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي) (3/ 458- قسم فلسطين) .

(2) كما في (خزائن الكتب1/ 295) .

وفي التقرير السابق الأخير لهذه الخزانة أنها مجموعة صغيرة بها مخطوطات ، وأدع المقام للعاقل أن يتدبر و يعتبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

خزانة آل الصمادي

ومن هذه الخزائن الشهيرة خزانة (آل الصمادي) :

وهذه الخزانة تقع في منزل الحاج عيسى الصمادي - شارع عمان - نابلس ، وقد عرفت المكتبة في عهد الحاج عبد العال الصمادي منذ 450 وهي دار عائلية خاصة ، ويبلغ عدد مخطوطاتها 84 مخطوط ، ومحفوظة في خزائن زجاجية وقد صورها جميعاً مركز التوثيق والمخطوطات بجامعة النجاح الوطنية بنابلس وصدر لها فهرس في جزء واحد (١) .

خزانة مفتي نابلس

الشيخ نعمان هاشم مفتي نابلس من علماء الحنابلة الأجلاء المعروفين في نابلس

ومن هذه الخزائن أيضا خزانة (الشيخ نعمان هاشم) مفتي نابلس :

وهذه الخزانة من أهم الخزائن في نابلس أيضاً وصاحبها عالم جليل من علماء الحنابلة المعروفين في نابلس وكانت فيها مخطوطات نفيسة من أشهرها نسخة من كتاب - درء تعارض العقل والنقل - تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهذه النسخة التي راسل فيها علامة العراق محمود شكري الألوسي الوراقين لتصويرها أو استنساخها ، فبعد أن ذكر

●●●

(١) دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي (187-188) - مقال الدكتور : كمال نبهان (السياسية والتراث المخطوط في فلسطين) ضمن (ندوة التراث العربي المخطوط في فلسطين) الذي نشره معهد المخطوطات العربية في القاهرة ص47

مخلص - كما ذكرت قبل قليل - قصة هذه المراسلة من الألوسي قال : (ولما كنت أعرف أن نابلس وما حولها من القرى هي وطن الحنابلة اليوم وأننا إذا لم نجد هذا الكتاب القيم في مكتبة الشيخ نعمان هاشم فلا يستبعد أن نلقاه في مكتبة أخرى ، كتبت إلى صديق يعني بمثل هذه الأمور أطلب إليه أن يعيننا على هذه المهمة وبعد أن بحث ونقب واستقصى أجابني بكتاب أفقدني كل أمل بالحصول على ذلك الكتاب ومما جاء فيه :

«أن خزانة كتب المرحوم الشيخ نعمان هاشم قد تمزقت كل ممزق فإنه فيما مضى مُدّت إليها بعض الأيدي ثم جعلت وقوداً مكان الحطب أيام الحرب العامة ولم يبق منها سوى بقية لا تستحق الذكر» (١) .

خزانة القمحاوي

ومن هذه الخزائن أيضا (خزانة عائلة القمحاوي) :

خزانة الشيخ نعمان هاشم تمزقت كل ممزق وامتدت إليها الأيادي وجعلت وقودا مكان الحطب أيام الحرب!!

وهي إرث عائلي أسست في القرن الثامن عشر الميلادي ويرجع تأسيسها إلى الشيخ مسعود بن إبراهيم القمحاوي وقد أوقفها على نفسه ثم على ذريته من بعده .

وتوارثتها العائلة إلى أواخر القرن الماضي وقام السيد زياد حلمي القمحاوي أحد أفراد العائلة بتسليم المخطوطات إلى دائرة أوقاف نابلس من أجل المصلحة العامة ، وتحتوى المكتبة على (مئة وثماني عشرة) مخطوطة

●●●

(١) مجلة الزهراء م١/ ج٨ (504-505) .

جميعها باللغة العربية ، نصفها في العلوم الإسلامية ، وثمان وأربعين منها في الفقه وما بقي منها في العلوم اللسانية .

ومن مخطوطتها :

1- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للرقائق الخفية/ لسليمان بن عمر العجيلي ويعرف بالجمل وهو 4 أجزاء نسخ في 1844م .

2- ترغيب المشتاق في أحكام مسائل الطلاق/ لعبد المعطي بن سالم السبكي السملاوي نسخت في عام 1733م (1) .

وقد صدر لها فهرس بعنوان (فهرس مخطوطات مكتبة آل القمحاوي - نابلس) عمان/ الجامعة الأردنية 1992م / 1413هـ ، بالتعاون مع جامعة النجاح في نابلس من إعداد محمود عطا الله .

معظم مخطوطات خزانة الشيخ تفاحة الحسني تبحث في الدين الإسلامي واللسانيات

●●●

خزائن تفاحة

ومن خزائن نابلس أيضا خزانة (عائلة تفاحة) :

وقد أسست في القرن التاسع عشر الميلادي وبلغ عدد مخطوطاتها مئة وأربع مخطوطات منها ثماني مخطوطات للشيخ أحمد تفاحة الحسني ، وهو أحد أفراد العائلة ، ويبحث جلّ هذه المخطوطات في الدين الإسلامي

(1) (التراث العربي المخطوط في فلسطين . فهارسه) د . خضر سلامة مطبوع ضمن معهد ندوة معهد المخطوطات في القاهرة (ص100-101) .

وفي اللسانيات ، ومن مخطوطاتها :

1- الفوائد الشنشورية في نظم الرحبية/ لجمال الدين عبد الله بن محمد الشنشوري نسخت في عام 984هجري/ 1577ميلادي وهي نسخة المؤلف .

2- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع/ لشمس الدين محمد الشربيني الخطيب نسخت في عام 1756هجري(1) وصدر لها فهرس للأستاذ محمود علي عطا الله بعنوان (فهرس مخطوطات آل تفاحة نابلس/ جامعة النجاح الوطنية 1993ميلادي) ، ومخطوطات هذه الخزانة موجودة في حوزة مركز التوثيق والمخطوطات التابعة لجامعة النجاح الوطنية بنابلس . (2)

خزائن الحاج نمر

ومن الخزائن المهمة في نابلس خزانة (الحاج نمر الداري النابلسي) :

يرجع تاريخ نسخ أقدم مخطوط في خزائن الحاج نمر إلى العام ٩٤٨هـ ١٥٤٢م

وهي موجودة ضمن مسجده الذي يحمل اسمه في شارع فيصل في نابلس ، وبلغت مخطوطات هذه المكتبة 98مخطوطة في الشريعة واللغة ويوجد فيها أربع دفاتر وقفية تتعلق بمدينة نابلس في الفترة ما بين (1866هجري- 1902ميلادي) ويرجع تاريخ نسخ أقدم مخطوطة منها إلى عام (948هجري- 1542ميلادي) وتعرف باسم «معالم التنزيل» للحسين بن مسعود البغوي (ت 516هجري) (3) وله فهرس من إعداد محمود عطا الله ●●●

(1) المصدر السابق ص99

(2) دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ص186

(3) فهرس مخطوطات مكتبة الحاج نمر النابلسي) ص807

بعنوان : فهرس مخطوطات مكتبة الحاج نمر النابلسي – نابلس (1404هجري-1983ميلادي) من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني وتتبع وزارة الأوقاف ومصادر مخطوطات هذا المسجد بعض عائلات المدينة وعلمائها (1) .

ومن نفائسها :

1- العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية/ لمحمد أمين بن عابدين جزآن .

2- شرح ثلاثيات المسند للسفاريني .

3- الحبائك في أخبار الملائك/ للسيوطي .

والمكتبة حالياً مغلقة ولكن توجد نسخة ميكروفيلمية كاملة لمخطوطاتها في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية في عمان (2) .

خزانة التميمي وخزانة منيب هاشم وخزانة هاشم عاشور وخزانة البسطامي من خزائن العائلات المشهورة في نابلس

خزانة التميمي

ومن خزائن العائلات المشهورة في نابلس خزانة التميمي وخزانة منيب هاشم وخزانة هاشم عاشور وخزانة البسطامي(3) .

ومن المكتبات النابلسية المعاصرة التي أسست حديثاً :

(مكتبة مركز التوثيق والمخطوطات) التابع لجامعة النجاح وهو من أهم

●●●

(1) دليل مكتبة المخطوطات في الوطن العربي ص197 – 198

(2) المخطوطات الإسلامية في العلم – مؤسسة الفرقان (3/ 455) .

(3) مخطوطات فلسطين – واقع وطموح) فؤاد عبيد (35–36) .

المراكز الموجودة ، وصاحب فضل كبير على مخطوطات نابلس ، وهذا المركز أنشئ عام 1982 ميلادي في ظل الجامعة بهدف جمع المخطوطات والوثائق في نابلس وغيرها من الأفراد والعائلات وتصوير ما يمكن تصويره حفظاً للتراث وإتاحة للباحثين والدارسين .

والمخطوطات والمصورات التى توجد فيه هي سبعمائة مخطوطة مصدرها الشراء من العائلات والأفراد وبعض الأقطار العربية ، بالإضافة إلى نحو ألف مصورة من مساجد ومكتبات عائلية خاصة كالمكتبة الجوهرية وآل الصمادي وآل تفاحة في نابلس . . .) (1) .

المكتبة العامة

ومن المكتبات الحديثة مكتبة بلدية نابلس العامة :

مكتبة بلدية نابلس العامة تأسست عام ١٩٦٠م وفيها قاعدة مشتركة للمخطوطات والوثائق

تأسست عام 1960 في نابلس وأما مخطوطاتها ومصوراتها فهي : 15 مخطوطة وخمسة مجاميع وخمس مصورات مصادرها الإهداء بالإضافة إلى مئات السجلات والوثائق التاريخية ، وتوجد فيها قاعدة مشتركة للمخطوطات والوثائق) (2)

ويذكر لنا مؤرخ القدس الكبير عبد الله مخلص رحمه الله سبباً هاماً في هذا النقص الشديد للمخطوطات وهذا الخراب والدمار الذي أصاب أغلب خزائن هذه المدينة الجليلة فيقول بعد ذكر التقرير الذي أرسله له صاحبه من نابلس وجاء فيه مايلي : (إن خزانة كتب المرحوم الشيخ نعمان هاشم قد تمزقت كل ممزق فإنه فيما مضى مُدّت إليها بعض الأيدي ثم جعلت وقوداً

●●●

(1) دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي (185–186) .

(2) دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي (ص190) .

مكان الحطب أيام الحرب العامة ، ولم يبق منها سوى بقية لا تستحق الذكر وسائر المكاتب الشهيرة في نابلس وضواحيها تجدها على هذا المنوال فإنه على ما فهمت كان يأتي أحد كتبيي دمشق بالكتب المطبوعة ويستبدلها بالمخطوطات النفيسة . . .) ، فيعلق مخلص فيقول : (هكذا تفقد أمثال هذه الدرر الغوالي في المكتبات الخاصة ويضيع بضياعها مجهودات كبيرة استغرقت السنين والأعوام واستنزفت المدارك والإفهام) (١) .

● وبعد هذا كله تكون أخي قد أتحفت عينيك وشنفت أذنيك بسيرة بسيطة موجزة توضح هذا المعلم الخطير من معالم النهضة العلمية في نابلس ، ولو ترك المجال للتعلم بالاسترسال لخرج موضوعنا في جلدات ومجلدات إذ الجعبة مليئة بمثل هذه الحقائق التاريخية والنوادر التراثية ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، وخير الكلام ما دل وإن قل ورُب إشارة أبلغ من عبارة ، وفي هذا القدر كفاية . .

ينبغي أن يهتم أولو الأمر والعلماء بجرد جميع المخطوطات في مكتبات فلسطين وصيانتها واصدار فهارس علمية لها

● وأختم كلمتي بما ختم به الدكتور صلاح الدين المنجد مقدمة كتابه (المخطوطات العربية في فلسطين صـ7) بقوله : (ويجب أن نلحّ هنا أن ما جمعناه لا يكفي ، ولابد أن يهتم أولو الأمر والعلماء بجرد جميع المخطوطات في مكتبات فلسطين وصيانتها وتصويرها وإصدار فهارس علمية لها) .

هذا وأسأل الله أن ينفعنا بعملنا هذا ويجعله خالصاً لوجه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

●●●

(١) مجلة الزهراء ص ٢٣ جـ٤(504- 505) .

□ مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

الحمد لله رب العالمين معز أوليائه المؤمنين وماحق الكفر والمنافقين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد . . .

واقع جديد ، وتحول كبير ، فرضه فوز حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الإنتخابات التشريعية الفلسطينية ، فاجأ الجميع بمن فيهم قادة الحركة أنفسهم ، ولأول مرة في التاريخ العربي المعاصر تتولى فيها حركة إسلامية مقاليد السلطة بالانتخاب الحر المباشر ، وأصبح بذلك فوز الإسلاميين في الإنتخابات ظاهرة لايمكن تجاوزها ، ولو تركت الشعوب العربية والإسلامية لتختار من يمثلها ، فهي بلا شك ستختار الإسلام والمسلمين ليقودوا دفتها . وبفوز الحركة أثبت الشعب الفلسطيني حرصه على إسلامية قضيته ومشروعه الجهادي ، والتفافه حول كل من ينادي بالإسلام منهجاً للحياة .

بفوز «حماس» اتخذت القضية الفلسطينية مرحلة جديدة لقيادة الصراع الإسلامي اليهودي بمفهومه الشرعي

وبفوز «حماس» اتخذت القضية الفلسطينية مرحلة جديدة تعدّ بداية الانطلاق الصحيح لقيادة الصراع الإسلامي اليهودي بمفهومه الشرعي من غير تنازلات باطلة .

● وقد عرفت الحركة طوال مسيرتها وهي ترفع شعار الإسلام وتنادي به وتعمل لأجله ، لذا كان فوزها أمراً مفرحا للمسلمين في العالم أجمع .

● ومما لا شك فيه أن نتائج الانتخابات وضعت حماس والحركة الإسلامية معها في المنطقة العربية والعالم الإسلامي عموماً أمام تحديات دولية كبيرة ربما تكون أكبر بكثير من قدرتها ، فالوضع الفلسطيني المعقد وعدم وجود

●●●

خبرة سابقة للحركة في إدارة الدولة أو حتى المشاركة البرلمانية ، لا شك أن الأمر سيكون صعباً للغاية ، لا سيما في مراحله الأولى ، وهي - بحق - تقف اليوم أمام اختبار من النوع الصعب والثقيل .

● ومع يقيننا أن حماس تعلم حجم التحدي القادم وخطورة القرار الذي اتخذته ، وحساسية المرحلة وعظم الأمانة الملقاة على عاتقها ، ومع ذلك فهي أحوج ما تكون إلى النصح الصادق والبنّاء من جميع الأمة .

● وفي مقدمة ذلك التمسك بعقيدتها الإسلامية التي تعنى الحفاظ والثبات في كل قراراتها وسياساتها العامة والخاصة ، وينبغي للمسلمين في كل مكان أن يستبشروا بهذا الفوز وأن لا يكونوا في صف أعداء الأمة ضد «حماس» مهما كان نوع أو حجم هذا الفوز ، وينبغي لهم أن يشكلوا ثقلاً داعماً لها لكي تستطيع الثبات على مبادئها الشرعية والاستمرار في وجه الضغوط والمؤامرات التي تحاك ضدها وضد الإسلام بعامة ، وتُبقى «حماس» دعوة إسلامية - نحسبها - صادقة .

«حماس» تقف اليوم أمام اختبار من النوع الصعب والثقيل وعليها أولا وآخرا التمسك بعقيدتها الإسلامية والحفاظ على ثوابتها

انتصار المشروع الإسلامي

إن الفوز الذي حظيت به الحركة يعد انتصاراً - في الحقيقة - للمشروع الإسلامي بمفهومه الواسع الشامل ، لذا يجب على الحركة أن تحفظ على المسلمين فرحتهم وثقتهم بها ، وعلى القيادة في «حماس» أخذ النقاط التالية بعين الاعتبار ، وهي من باب النصيحة الخالصة التي منطلقها الأخوة في الله ، ونرجو أن نكون وفقنا بها :

●●●

١- على الحركة أن تتعامل مع المؤسسات الفلسطينية ومنظماتها

والمصلحين من أبناء الشعب الفلسطيني على أساس الشراكة والتضامن لا بمفهوم الانفراد والتجاهل أو بمفهوم النظرة الحزبية الضيقة .

2- أن تجعل من نجاحها نجاحاً عالمياً على الفساد وأهله ، وقوة انطلاق للمشروع الإسلامي الكبير ، لا بمفهومه الحزبي الضيق بل بشمولية الإسلام وعالميته ، حتى يجني ثمراه ويحذو حذوه العاملون والقائمون على العمل الإسلامي في كل مكان ، وليعلم القائمون على الحركة أن أنظار العالم أجمع شاخصة أبصارها نحوها ، لذا وجب أن تكون الحركة مدرسة نموذجية معاصرة ترسي حقيقة الجهاد بمفهومه الشرعي الأصيل في كل مستوياته .

3- على قادة الحركة أن لا يتنازلوا عن ثوابت الأمة وعقيدتها ، وأن يجعلوا من علماء الأمة الربانيين - أولي الأمر المعتبرين - بطانة لهم وسنداً .

4- وأن تتمسك بأسلمة المشروع الفلسطيني مهما كلفها من ثمن وجهد وعناء ودماء ، وأن تعيد لعموم المسلمين في العالم صور التواصل مع قضية فلسطين الإسلامية ، بحيث تلقي الحركة عن كاهل الشعب الفلسطيني جزءاً من الهم الفلسطيني على عاتق الأمة المسلمة شعوباً وحكاماً لتكون مؤسسات العالم الإسلامي الرسمية والشعبية رصيداً وصفاً ثانياً داعماً ومثبتاً للمجاهدين في فلسطين .

على الحركة أن تتعامل مع المؤسسات الفلسطينية والمصلحين على أساس الشراكة والتضامن لا الانفراد والتجاهل

5- وعليهم أن يتقوا الله ما استطاعوا وأن لا يغتروا بالنصر ولا بالكثرة ، فذهاب النصر أسهل من تحقيقه .

●●● 6- وأن تستعمل الأصلح والأكثر إخلاصاً من أبناء الشعب الفلسطيني ، ولا يكن معيار ذلك دنوه أو بعده عن الحركة بقدر ما يكون دنوه من الإصلاح

والتقوى ، مع تجنيب أهل الأهواء والمصالح والذمم الرخيصة تولي أمور الناس ما أمكن .

7- وعليهم أن يعوا خطورة الموقف الذي تصدروا له ، وليدركوا أن العالم أجمع - مؤمنه وكافره - يرتقب ردود أفعالهم وأقوالهم ، سلباً وإيجاباً ، وأن الأمر الآن جد خطير لا يحسب على أشخاصهم فحسب ، بل على الإسلام وأهله في كل مكان ، وليدرك قادة الحركة أنهم إن كانوا سبباً في إفشال المشروع والمهمة التي تصدّروا لها فإن ذلك يعني ضرباً من ضروب الانتحار ، وسبباً من أسباب تدمير المشروع الإسلامي الكبير عالمياً ، فالله الله أن يوتى الإسلام من قبلكم ، ولتكونوا مثالاً يحتذى في الصبر والمصابرة ، فلم يعد اليوم ثمة مكان للتجربة والخطأ ، فالخطأ هنا قاتل ومرارته كبيرة .

8- أما نصيحتنا - التي لا مفر منها - مهما ألجأتنا الظروف إلى غيرها ، فإننا ننصح إخواننا في الحركة أن يلتزموا عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة فهم امتدادهم ومددهم الحقيقي ، وأن التقارب مع إيران وأذنابها في دولنا ما هو إلا سراب خادع ودغدغة سياسية ليس إلا ، ليمرروا من خلال نجاحات الحركة عقيدة الرفض وحقدها ، والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين .

ننصح إخواننا في الحركة أن يلتزموا عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة فهم امتدادهم ومددهم الحقيقي

ونؤكد لقادة الحركة ضرورة عدم التهاون في عقيدة أمتنا مهما كانت الأسباب ، من تمرير عقيدة هؤلاء بين صفوف شعبنا أينما كانوا ، وأن لا نجعل لهم موطئ قدم في أرضنا وبين شعبنا مهما كلفنا ، والتاريخ أكبر شاهد على خبثهم وغدرهم ، ولتحذر الحركة أن يسجل التاريخ تهاونهم في ذلك .

●●●

9- وأن تتجاوز الأخطاء المريرة التي وقعت بها حركة «فتح» وأن تتعامل مع

الجميع بكل شفافية وإخلاص وحرص على المصالح الشرعية العليا للشعب الفلسطيني .

١٥- وأن لا ينخدع قادة الحركة بما اعتلوه من مناصب وسلطة ، وليكن الشغل الشاغل والهم الدائم لهم هو الشعار الذي رفعته الحركة (الإصلاح والتغيير) ومحاربة الفساد والبناء ما أمكن .

وقفة مطلوبة

وليعلم أن المسؤولية تزداد وتعظم على الدول الإسلامية والعربية بالوقوف مع الاختيار الصائب للشعب الفلسطيني المسلم الذي أعطى صفقة يمينه لهذه الحركة ، ولذا كان لزاماً على هذه الدول أن تقلل من التحديات ما أمكن - الداخلية منها والخارجية - التي تواجهها «حماس» بعد الإعلان عن فوزها في انتخابات المجلس التشريعي ، وأن تستجيب لحاجة الشعب الفلسطيني وتطلعاته ، وأن ترفض وتمنع - ما استطاعت لذلك سبيلاً - كل الشروط والقيود التي بدأت تكبل الإدارة الجديدة للشعب الفلسطيني .

على الدول العربية والإسلامية أن تستجيب لحاجة الشعب الفلسطيني وتطلعاته وأن تقدم العون والمؤازرة لهم

● وعلى الشعوب الإسلامية في العالم أن تكون نبع نهر لا ينقطع عطاؤه ولا ينضب خيره ، لتقديم مزيد من الدعم والمؤازرة لإخوانهم ، بروح عالية وهمة توّاقة تناطح عنان السماء ، وبعطاء متجدد حتى يتحقق النصر والتمكين ، وليعملوا جميعاً على إنجاح واغتنام هذه الفرصة الذي يظهر فيها صدقهم ، وليحذر المسلمون جميعاً في العالم من أن يكونوا سبباً في التخذيل أو التواني أو النكوص عن دعم فلسطين والمصلحين فيها .

●●●

● وعلى شعبنا أن يصبر ويصابر وليعلم أن أمامه أياماً صعبة يمتحن فيها جهاده وصبره وخياره ، فعليه الثبات أمام كل التحديات ، والالتفاف حول القيادة التي تقوده نحو الإسلام مهما غلت ضريبة ذلك ، وعلى عموم شعبنا الفلسطيني المسلم أن يعلم أننا جميعاً في مركب واحد وعلى ثغر واحد ، فالحذر الحذر أن نؤتى من قبل بعضنا ، وأن نكون حريصين على وحدة الصف والتلاحم فيما بيننا وأن لا نرضخ لأقوال المفسدين والمرجفين المفرقين لجماعة المسلمين ، وتقع على «حماس» الآن مسئولية القيام بتوعية وتعليم شعبنا - بكل فئاته - شرع الله تعالى وأحكام دينه ، وفتح الباب أمام العلماء والمصلحين للقيام بدورهم الحقيقي في الإصلاح والبناء .

● وعلى السلطة الوطنية الفلسطينية ، وفصائل المقاومة إن يدركوا جميعاً أنهم والشعب الفلسطيني في خندق واحد وأمام عدو يعمل بينهم بقاعدة (فرق تسد) ، لذا وجب عليها أن تفسح المجال وتطلق عنان الدعم المادي والمعنوي لشركاء الإصلاح معها من أبناء الشعب وفصائله المؤمنة بنهج ربها ليتحقق الخير للجميع .

على شعبنا أن يصبر ويصابر وليعلم أن أمامه أياماً صعبة يمتحن فيها جهاده وصبره وخياره

●●●

كلمة أخيرة

* وأخيراً نقول :

● وندعو الله تعالى أن يوفق أعضاء حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ليكونوا عند حسن الظن وعلى قدر المسؤولية التي أسندت إليهم ، وأن يحقق على أيديهم مصلحة البلاد والعباد ، وأن يرزقهم الثبات على المبادئ

التي أكسبتهم ثقة الناس ، وأن يقيهم فتنة السلطان والمال ، والبعد عن الحزبية وإقصاء الآخرين .

● والله نسأل أن يأخذ بأيديهم ، ويجنبهم ما يسخطه ، ويلقي عليهم من لدنه رحمة يجمع بها قلوب العباد على الهدى ، ويسدد خطاهم وحاجتهم ، ويلهمهم رشدهم وينصرهم على عدونا ، وأن يلم شتات هذا الشعب الذي طالت معاناته ، بعد أن تخلى عنه القريب ، وخذله البعيد .

● ونذكر أنفسنا وإخواننا في حماس بشرط التمكين والنصر ، بقول الله تعالى : ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج 41) ، وقال تعالى : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ (السجدة :24) ؛ فلا تبقى لهم السيادة إلا إذا أقاموا على الحق وصبروا عليه وأيقنوا بوعد الله .

● وفي الختام ، نوصي اخوتنا بما وصى به الله عباده المؤمنين في خاتمة سورة آل عمران حيث قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (آل عمران :200) .

نسأل الله تعالى أن يجمع كلمة أهل الإسلام وأن يوحد صفوفهم وأن يردهم إلى دينهم وأن يهيئ لهم أسباب النصر على عدو الله وعدوهم . آمين . . .

والحمد لله رب العالمين ؛ ؛ ؛

ندعو الله تعالى أن يوفق أعضاء حركة المقاومة الإسلامية ليكونوا عند حسن الظن وعلى قدر المسؤولية

●●●

□ د.مواد عزت

حقيقة

لقد أبهرتني الكثير من الحقائق والأرقام حول «صناعة الهولوكوست» والتي سردها الكاتب اليهودي «نورمان فنكلشتاين» في كتابه المُعَنْوَنُ بـ«كيف صنع اليهود الهولوكوست؟» وقفتُ عند بعضها وسألخصها بالآتي ليقرأ الجميع ماذا وراء «الهولوكوست» حسب دراسة الكاتب :

● في مقدمة الكتاب يقول مؤلفه : « أصبحت الأيام السنوية لذكرى الهولوكوست حدثاً قومياً . وفي خمسين ولاية أمريكية تمول الحفلات التذكرية – غالباً – من قبل البرلمانات المحلية . ويضم اتحاد منظمات الهولوكوست أكثر من مائة مؤسسة للهولوكوست في الولايات المتحدة . وهناك سبعة متاحف كبار للهولوكوست في الولايات المتحدة ومركز عبادة (طقس) وهو متحف الهولوكوست في واشنطن الذي نشأ بقرار فيدرالي ، وفي المقابل لا يوجد متحف يحيي ذكرى الجرائم المرتكبة من قبل الولايات المتحدة خلال تاريخها» .

أصبحت صناعة الهولوكوست منذ سنوات عدة - وبكل بساطة - مشروعاً يهودياً صرفاً لابتزاز الأموال

● ويضيف الكاتب : « لنتخيل – ولو لبرهة – الاتهامات الخبيثة التي يمكن أن توجه هنا لو أن ألمانيا أقامت متحفاً ليس للإبادة النازية إنما للرق في الولايات المتحدة أو متحفاً لإبادة الهنود الحمر .

وقد أصبحت صناعة الهولوكوست منذ سنوات عدة – وبكل بساطة – مشروعاً صرفاً لابتزاز الأموال ؛ فهي تزعم أنها تمثل يهود العالم أمواتا وأحياء ، وتطالب –من هذا الموقع– بثروات يهود في فترة الهولوكوست في كل أوروبا . وكانت سويسرا هي الهدف الأول لهذا النهب المزدوج للبلاد الأوروبية وللمتذمرين اليهود الشرعيين والذين وصفوهم بدقة

●●●

كبيرة .

ولكي لا نطيل على القارئ سنوجز أهم ما جاء في الكتاب من حقائق وأرقام وهي كالتالي :

* يضم اتحاد منظمات الهولوكوست في الولايات المتحدة أكثر من مائة مؤسسة للهولوكوست .

* الميزانية السنوية لمتحف الهولوكوست في واشنطن والذي أُنشيء بقرار فيدرالي تبلغ خمسين مليون دولار ، ثلاثون منها تأتي من الميزانية الفيدرالية الأمريكية .

* كشفت الإحصاءات أن غالب الأمريكيين يعرفون الهولوكوست ، وفي المقابل لا يعرفون القنبلة الذرية في «هيروشيما» مع أنه حتى فترة قريبة لم يكن الهولوكوست النازي يحتل إلا مكانة ضئيلة في الحياة الأمريكية بين الحرب العالمية الثانية ونهاية الستينات .

(كستر) يستعين بالأحاديث التي ليس لها سند للتشكيك في أفضلية المسجد الأقصى

* إحياء ذكرى الهولوكوست يشمل جميع الولايات الأمريكية ، ففي خمسين ولايةً أمريكية تُموَّلُ الحفلات التذكارية - غالباً- من قبل البرلمانات المحلية .

* استغلت الجمعيات اليهودية الأمريكية الهولوكوست النازي لإيقاف النقد ضد « إسرائيل» وسياستها والتي لا يُدافع عنها أخلاقياً ، وأعطت الحصانة من النقد في أكثر الممارسات ثبوتاً وإسناداً .

●●●

* وفي فترة من الفترات كان إحياء ذكرى الهولوكوست هو البرنامج الوحيد عند بعض الجمعيات اليهودية في أمريكا . وحقق الهولوكوست

إنجازاً كبيراً . . وأصبح الهولوكوست رأسَ مالٍ ، وأصبح رؤساء المنظمات اليهودية تجار الهولوكوست .

* هناك سبع عشرة دولة تفرضُ وتشجع تدريس « الهولوكوست » في مدارسها ، وكثير من المعاهد والجامعات قد أنشؤوا مقاعد دراسية للهولوكوست .

* إثارة الهولوكوست كانت خدعة لرفض أي شرعية للانتقادات الموجهة ضد اليهود . وليستمر معها وصف حالة اليهود «بالضحية » لجني الأرباح والفوائد الهائلة والتي أبرزها تبرير السياسة الإجرامية « للكيان الصهيوني » ودعم الولايات المتحدة لهذه السياسات ، ولابتزاز المال من أوروبا بأكملها لصالح استمرار دولة العدوان .

أكذوبة بيع الأرض راجت في الأوساط العربية كالنار في الهشيم والكتاب يبين مصدرها وخطورتها

* والهولوكوست خاص واليهود شعب خاص ، فالهولوكوست الذي يُظهر الخصوصية المتميزة لليهود يُعطي اليهود الحق بأن يعتبروا أنفسهم وكأنهم مُهددون بشكل خاص ، وبشكل خاص ويستحقون أن يقوموا بالجهود الضرورية - مهما كانت - لنجاتهم ، فاليهود هم دوماً أبرياء وغيرهم دوماً مُذنبون !!!

* والهولوكوست خَدَمَ - في تبريره - الضرورة لوجود دولة يهودية ، لأن الدولة اليهودية هي الضمان الوحيد ضد تصاعد اللاسامية المُقبل والذي لا مفر منه .

●●●

* لقد صادق الهولوكوست سلبياً على انتقاء اليهود وتفردهم ، لأن اليهود هم أفضل ، أو أنهم ينجحون أفضل . .

* وأصبح الهولوكوست صناعة يطلق عليها « صناعة الهولوكوست » واستغلت بعض الآلام «لصناعة الهولوكوست »واستخدمت الأموال « لتعليم الهولوكوست » .

● وهذا جزءٌ يسيرٌ مما جاء في الكتاب ، ومما لاشك فيه أن الهولوكوست من القضايا التي أجاد الإعلام الصهيوني والمنظمات اليهودية استغلالها لابتزاز الشعوب والدول الأوربية ، وجعلها خاصة في اليهود وحدهم دون الإشارة إلى ما حدث للغجر وبعض المثقفين والمعوقين والشواذ في تلك الإبادة ، حيث يزعمون أن (هتلر) والنازية قد قاما بإعدام ستة ملايين يهودي بغرف الغاز حرقاً ولا يذكرون غيرهم ممن عانى من هذا الاضطهاد ، ونحن هنا لسنا بصدد إنكار كلي للفعل ، نعم كان هناك اضطهاد لليهود في أوروبا ، ولكن ليس بهذا الحجم الذي يصوره الإعلام اليهودي الذي رسخ فكرة «اضطهاد اليهود» بين اليهود أنفسهم وأجيالهم القادمة ، وغرس عقدة الإحساس بالذنب لدى شعوب العالم وقادتهم ، بزعمهم أن كل الأغيار يضطهدون اليهود ، واليهود وحدهم ، ولذا لابد أن يوجد لهم وطن قومي يؤويهم !

كشفت الإحصاءات أن غالب الأمريكيين يعرفون الهولوكوست، بينما يجهلون قنبلة «هيروشيما» الذرية !!

● وبعد هذا . . . هل نجرؤ على إقامة متحف أو معرض يجسد آلام ومعاناة المسلمين في فلسطين في ظل احتلال ما زال يمارس أبشع أنواع القهر والاضطهاد والطرد والتشريد؟ !!

وما الاتهامات التي يمكن أن توجه لدولنا العربية والإسلامية إن أرادت توثيق ممارسات اليهود في فلسطين المحتلة ، وتلقي الضوء على مراحل المعاناة منذ أن وطئت رجل أول يهودي مستعمر أرض فلسطين ، إلى الآن وغداً ؟ ! .

●●●

□ عبد الوقيب العزاني - اليمن

يعدّ الاستشراق اتجاهاً علمياً من حيث الظاهر لكنه وسيلة لتحقيق أغراض استعمارية وعدائية تجاه الدين الإسلامي ، ومغالطةً للحقيقة العلمية وقد تسلل اليهود لابسين هذا الثوب (مع أننا نعترف بوجود مستشرقين منصفين لكنهم قليل جداً) وقد عرّفت الموسوعة الميسرة التي أعدتها (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) الاستشراق بالآتي :

«الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم . ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته . ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة ، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما» .

أسهم الاستشراق في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة

فما دور اليهود في الدراسات الشرقية (الشرق الإسلامي) يا ترى؟ وهل كان إيجابياً أم سلبياً تجاه الحقيقة؟ ! .

المستشرقون اليهود وترجمة القرآن للعبرية:

كشف متخصص في العبرية عن تحريفات مقصودة في ترجمات 3 مستشرقين لمعاني القرآن صرح بذلك لجريدة الشرق الأوسط (الأحد 03 جمادى الثاني 1426 هـ 10 يوليو 2005 العدد 9721) : كشف متخصص في اللغة العبرية عن ما وصفه بالتحريف المقصود في عدد من ترجمات معاني القرآن من العربية إلى العبرية والتي قام بها مستشرقون يهود ، إلى

●●●

جانب رسائل مضمنة في الترجمات عينها تحمل عدائية واضحة تجاه الإسلام والمسلمين وللنبي محمد ﷺ على وجه الخصوص .

وأبلغ المتخصص «الشرق الأوسط» عن صدور نسخة عبرية جديدة من المصحف الشريف على يد مستشرق «يهودي» في مطلع العام الجاري ، متسائلاً عن جدوى ودوافع إصدار هذه الترجمة طالما أن هناك 4 ترجمات عبرية سابقة ، 3 منها مطبوعة ومتداولة والآخر (مخطوط) وغير متداول .

● وبين الدكتور محمد أحمد حسين أستاذ اللغة العبرية في جامعة الملك سعود في الرياض ، أن الترجمة الحديثة تمت على يد «أوري روبين» الأستاذ في جامعة تل أبيب ، باحث كبير متخصص في اللغة العربية والقرآن الكريم والتفسير والسيرة النبوية والحديث الشريف ، لافتاً إلى أن الترجمة استغرقت خمس سنوات ، قبل أن تدرج ضمن سلسلة كتب ودراسات متخصصة في علوم الأديان تهتم بنشر الترجمات العبرية لعدد من الكتب العربية إلى العبرية تتبناها دار نشر جامعة تل أبيب ، ويشرف عليها الدكتور «أفيعاد كلينبرج» المستشرق والمؤرخ والمتخصص في علوم الأديان .

هنالك تحريف مقصود ومتعمد في كثير من ترجمات معاني القرآن من العربية إلى العبرية قام بها مستشرقون يهود

● ويشير حسين إلى أن المترجم أفصح عن محاولته في بناء النص القرآني المترجم بواسطة شروحات وملاحظات في الحواشي مع تساؤل يتصدر مقدمة الترجمة التي تقع في 616 صفحة ، بـ «ماذا يقول القرآن؟» ، يعقبه استطراد للمترجم نصه : «إنه سؤال لا يوجه فقط للمتخصصين في علوم القرآن ، بل سؤال له تداعيات اجتماعية وسياسية وثقافية عميقة . فهذا

●●●

السؤال يتعلق بالحياة والموت غالباً» .

● وعلى الرغم من الترجمة التي يبدو أنها لم تحمل أي فكر عدائي إلا أن الدكتور يتساءل عن جدواها وضرورتها ، معرباً عن استيائه لما حصل في الترجمات السابقة للقرآن من المغالطات ويؤكد أن بعض المترجمين قد عبثوا بالنصوص القرآنية مستغلين الخصائص اللغوية لها ، ويلمح إلى أن التحريفات المقصودة يتبين الهدف من ورائها ، إذ تخدم فكراً دينياً معادياً ، ويضيف أن صعوبة نقل الخصائص البلاغية للقرآن شكلت عائقاً أمام المترجمين نتج عنه تحريفات أخرى غير مقصودة ، وهو ما يعرف بـ «علم المعاني» ويتضمن الإطناب ، التقديم ، والتأخير ، والحذف ، والبيان ، والاستفهام ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، وعلم البديع ، والطباق ، والمبالغة ، والنظم ، والفواصل والتكرار .

لقد عبث اليهود ببعض النصوص القرآنية مستغلين الخصائص اللغوية لها لتخدم أفكارهم وعداءهم للإسلام

● وفي معرض حديثه عن تاريخ الترجمات استنكر حسين عدائية المترجمين تجاه القرآن واللغة التي نزل بها ، حيث طلب المترجم «ريكندورف» من ربه الصفح والغفران لقيامه بترجمة القرآن للعبرية ، معتبراً اللغة العبرية هي اللغة المقدسة ، كما أنه يعلن بصراحة مباشرة أنه أراد من ترجمته للقرآن إبراز سمو العبرية على العربية ، ودرجة تأثير ما جاء في التوراة على القرآن ، إضافة إلى أنه سطر قصيدة رثاء في أبيه بعنوان «أبي الغالي» ، ورسالة مفادها أن الرسول لم يكن أمياً وإنما تعلم على يد علماء اليهود في رحلاته التجارية .

●●●

● وتحسب الترجمة الصادرة أخيراً كرابع ترجمة عبرية للقرآن كاملة ومطبوعة ، بعد مرور أكثر من ربع قرن على صدور آخر ترجمة عبرية

للقرآن قام بها أحد المستشرقين ، وسط نداءات قوية وجهت إلى القطاعات الإسلامية المعنية بالترجمة والطباعة بالتحرك السريع لإصدار نسخة خالية من التحريف والتأويل ، من خلال تخصيص فريق عمل إسلامي يجيد الترجمة إلى العبرية ، ليعكف على إصدار نسخة إسلامية تشرح القرآن من دون زيادة أو نقصان ، وتصحح ما تضمنته ترجمات بعض المستشرقين من المغالطات ، بغية إقناع المسلمين بصدق الإسلام وسماحته .

● ويستطرد حسين في حديثه عن الترجمات فيوضح أن مترجماً يدعى «بن شيميش» نفى في ترجمته تهمة نية قتل اليهود للمسيح مستشهداً بقوله تعالى في سورة النساء : ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ ، متجاهلاً قول الله سبحانه في القرآن : ﴿ولكن شبه لهم﴾ ، بيد أن هذه الأخيرة دلالة كبيرة تؤكد أن قتل أو صلب الشبيه يؤكد ثبوت نية قتل المسيح عليه السلام وصلبه ، وهو ما سعى لنفيه المترجم .

بن شيميش تعمد تحويل البقرة الصفراء الواردة في سورة البقرة إلى بقرة حمراء لتخدم أساطيرهم المرتبطة ببناء الهيكل المزعوم

● كما يصل الدكتور محمد إلى أن البقرة الحمراء التي هي إحدى الأساطير اليهودية المرتبطة ببناء الهيكل ، أكد عليها المترجم «بن شيميش» الذي تعمد في إصداره على تحويل البقرة الصفراء «فاقع لونها» والتي هي إحدى معجزات سيدنا موسى عليه السلام لإحياء الموتى ، إلى حمراء اللون ، وهو ما يعني التكرر المتعمد على هذه الأسطورة الدينية اليهودية بغية توظيفها سياسياً من أجل إقامة الهيكل الثالث .

● ويستبعد الأكاديمي حسين أن تكون بعض الترجمات السابقة والمتضمنة مغالطات عديدة أي تأثير على القارئ اليهودي لمحاولة تقريبه من المسلم العربي ، ويشير إلى أن بعض الترجمات التي طالها العبث بمقدماتها

●●●

وشروحها وتعليقاتها المعادية ، من الممكن أن تسهم في حدة التباعد والعدائية بين اليهودي والمسلم ، مع الأخذ بالاعتبار أن العداء موجود أصلاً نتيجة الصراع العسكري والسياسي والفكري والثقافي .

● ويرى الدكتور محمد حسين أن الترجمة قناة مهمة من قنوات الاتصال مع الآخر ، وفعل ثقافي متقدم يستهدف محاورته وتنمية الوعي به ، ومجال يمارس المترجم تأثيره فيه ، ووسيلة يستدل بها على التوجهات ، وهي ليست مجرد نقل من لغة إلى أخرى ، بل حوار يقوم على وجود اعتراف متبادل بين قطبي الحوار ، بالحضارة والثقافة واللغة وأداة معرفية مهمة للوعي بالآخر والتعرف على فكره وثقافته وإمكانياته وفعل ثقافي لا يظهر إلا في اللحظة التي تدرك فيها الجماعة مدى احتياجها لثقافة الآخر ، شرط أن تسير الترجمة وفق قيم النقل الصادق والصريح وعدم المساس بصراحة المضمون واستبعاد الأغراض المضادة .

يعد الحاخام «يعقوب بن يسرائيل» أول مترجم لمعاني القرآن باللغة العبرية، في القرن السادس عشر

توثيق ترجمات القرآن للعبرية:

* يعد الحاخام «يعقوب بن يسرائيل» أول مترجم لمعاني القرآن باللغة العبرية ، إذ أصدر مخطوطاً في القرن السادس عشر ، إلا أنه لم يحظ بالنشر ولا بالتداول . وتمتلك مكتبة المتحف البريطاني نسخة منه ، ويتضمن ثلاثة أجزاء تسرد حياة النبي محمد ﷺ والتاريخ الإسلامي حتى نهايات العصر الأموي ، إلى جانب ترجمة العديد من سور القرآن الكريم !! .

●●●

● في حين أصدر المستشرق الألماني اليهودي «ريكندورف» أستاذ اللغات السامية في جامعة هايدلبرج بألمانيا في القرن التاسع عشر ثاني ترجمة

للقرآن بالعبرية وأول ترجمة تحظى بالنشر والتداول وكانت بعنوان (هم قرأ فهو قرآن) وتعني بالعربية (المقرئ والقرآن) . وفي عام 1936 أصدر المترجم «يوسيف يوئيل رفلين» ثالث ترجمة عبرية للقرآن وثاني ترجمة تنشر وتتداول ، وكانت ترجمة مستساغة نظراً لتمكنه من اللغة العربية كتابة وتحدثاً . وفي عام 1971 أصدر المترجم «هارون بن شيميش» رابع ترجمة عبرية للقرآن وثالث ترجمة تحظى بالنشر مكتفياً بتقديم المعنى الكلي لخمس آيات من دون الحفاظ على تسلسل الآيات القرآنية . أهـ

● وهناك دراستان مهمتان عن ترجمة القرآن الكريم لباحث مصري نشر ملخص لهما في موقع «إسلام أون لاين» الدراستان تعالجان قضية الترجمات العبرية التي أنجزها يهود للقرآن الكريم والسياقات التاريخية والحضارية التي ارتبطت بها والأخطاء -أو الخطايا- التي وقعت فيها لتخرج الدراستان بنتيجة وتوصية مباشرة : ضرورة أن تقوم جهات عربية وإسلامية بمهام ترجمة معاني القرآن للعبرية .

المستشرق الألماني اليهودي (ريكندورف) أصدر الترجمة الثانية للقرآن بالعبرية في القرن التاسع عشر

رحلة ترجمة القرآن للعبرية:

في الدراسة الأولى نطالع وصف الباحث للرحلة التاريخية التي قطعتها ترجمات القرآن بالعبري ، والتي بدأت في صورة تراجم جزئية من خلال ترجمة آيات محددة في العصور الوسطى ؛ حيث تأثر اليهود بالمسلمين خلال العصر الأندلسي المزدهر ، حين بدأ بعض اليهود ينهلون من الثقافة الإسلامية بكل صورها ؛ حتى إن أحد شعراء اليهود كان يستشهد بآيات القرآن الكريم والقيم التي ينادي بها في قصائده ، وفعل مثله الكثيرون ، أبرزهم «القرقساني» والحاخام «سعديا الفيومي» المصري الذي كان أول من

ترجم التوراة للغة العربية في القرن العاشر الميلادي ، بعد أن اختفت العبرية بصورة ما ، وبدأت تنحصر بين المتدينين منهم . ووصل الحال إلى أن اقتبس زعيم اليهود بالأندلس من القرآن قوله تعالى ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ (آل عمران/ 92) ، وجعلها افتتاحية لصلواتهم وخطبهم .

● ويمكن القول بأنه خلال الحقبة الأندلسية تحولت ترجمة أجزاء الآيات والتعبيرات القرآنية إلى ظاهرة ؛ حيث كان اليهود يضيفونها إلى أشعارهم وموادهم الفلسفية والمسروقة -بالحرف أحياناً- من الأصول العربية ، ومن أشهر هذه الأشعار العبرية قصائد موسى بن عيزرا - شموئيل هانا جيد ؛ بل وصل الأمر بأحد المفكرين اليهود (ابن جبيرول) إلى ترجمة سورة الفاتحة كاملة للعبرية وصياغتها على أنها إحدى الصلوات اليهودية ، دون تحديد مصدرها أو الإشارة إليه ، وفعل مثله العديد من المفكرين والفلاسفة اليهود .

(ابن جبيرول) يتجرأ على الإسلام بترجمة سورة الفاتحة كاملة للعبرية وصياغتها على أنها إحدى الصلوات اليهودية!!

● والمفارقة أن الحقبة الأندلسية التي لم تأخذ حقها ولم يكتب عن آثارها الإيجابية في ازدهار الأدب العبري في العصر الأندلسي بفضل ما أتاحته من الحريات هي التي شهدت كذلك اجتراءات يهودية على النصوص القرآنية تحريفاً وتشويهاً ، وكان من أهمها كتاب «كيشيت أولجان» الذي وضعه الحاخام الأندلسي «شمعون بن تسميع» وكتاب «ابن النفريلة» ، وذلك في إطار الجدل الديني ضد الإسلام ، والاستشهاد بآيات قرآنية محرفة بعد ترجمتها للعبرية لأغراض غير نزيهة ؛ وهو ما دفع ببعض الأئمة الأندلسيين إلى الرد عليهم ، كما فعل الإمام ابن حسب في كتابه «الرد على ابن النفريلة اليهودي» .

ويعد الحاخام «يعقبو هليفي» أول من قام بترجمة القرآن كاملاً للعبرية في القرن الـ16 الميلادي ، ولم تحظ هذه الترجمة حتى الآن بالطبع والتداول ؛ إذ ما زالت مخطوطة يوجد منها نسخ في العديد من المكتبات العالمية مثل مكتبة الكونجرس الأمريكي ومكتبة المتحف البريطاني .

● وقد اعتمد الحاخام هليفي في ترجمته القرآن للعبرية على نسخة مترجمة للإيطالية ، وقد تعمد في مقدمته توجيه النقد للقرآن وترديد الآراء اليهودية والاستشراقية المتطرفة ضد الإسلام والمسلمين ، ووصل إلى حد الادعاء بأن الرسول ﷺ كان مصابًا بالصرع .

● وفي القرن التاسع عشر أصدر المستشرق اليهودي الألماني «تسفي ركندورف» الترجمة العبرية الثانية للقرآن ، والترجمة الأولى المطبوعة والمتداولة على نطاق واسع في إسرائيل والدول الغربية ، واعتمد فيها على الأصل العربي مباشرة ومقارنته بالترجمات الأخرى التي قام بها المستشرقون الغربيون .

اعتمد الحاخام هليفي في ترجمته القرآن للعبرية على نسخة إيطالية وتعمد في مقدمتها توجيه النقد للقرآن الكريم!

وتعد هذه الترجمة أكثر الترجمات المتحاملة على القرآن والمحرفة له ؛ حتى إن صاحبها «ركندورف» زعم فيها أن المصدر الرئيسي للقرآن هو «المقرا» اليهودية .

● الغريب أن (ركندورف) لم يراع أنه يترجم كتاباً مقدساً ؛ فبدأ ترجمته بقصيدة رثاء في أبيه بعنوان «أبي الغالي» ، وكتب مقدمة مهينة للرسول ، ادعى فيها أنه -ﷺ- ليس أميًا ، وأنه إنما استقى من علماء اليهود خلال رحلاته التجارية ، وأنه تحفظ على اليهودية لتشددها ؛ فبدأ في وضع الدين

●●●

الجديد ! واعتبر «ركندورف» -الذي يرفض الاعتراف بنبوة الرسول ﷺ- أن الوحي كان من خياله لكثرة تأمله ! بل تطاول إلى حد وصفه بأنه مريض بالاضطراب النفسي ، وشكك في تدوين القرآن ، بادعاء أن أبا بكر تدخل فيه ، ولم يدونه بالترتيب المفروض ، ووصف القرآن عامة بأنه متدن ولغته مثيرة للازدراء ، ومليء بالأكاذيب والتكرار الممل ، ويصفه بقيء الكلب وطيش الأحمق . وقد اعتمد في رؤيته هذه على كتاب اليهودي المتطرف أفراهام جافير «ماذا أخذ محمد من الديانة اليهودية؟» والذي أشار فيه إلى إبداء الرسول احترامه لليهود لمكانتهم وقتها ، وإخفاء عدائه لهم داخله ، إلا أن هذا لم يؤثر على أخذه من علومهم ، حسب افترائه .

● أما الترجمة الثالثة للقرآن بالعبرية فقد صدرت عام 1936 ، وطبعت أكثر من 5 مرات على يد الحاخام الصهيوني «يوسف ريفلين» الذي ولد في القدس ، وعرف بكونه واحداً من أبرز عناصر الحركات الصهيونية في فلسطين !

المستشرق أهارون بن شمش يعرّف الإسلام على إنه (يهودية عربية) في رابع ترجمة للقرآن إلى العبرية!

● وفي عام 1971 قام المستشرق الإسرائيلي د .أهارون بن شمش بترجمة القرآن للعبرية في رابع محاولة لترجمة القرآن للعبرية ، وكان أبرز ما تميزت به هذه الترجمة عن غيرها التحريف الشديد الذي تمثل في ضغط المترجم لكل خمس آيات قرآنية في آية واحدة ! وقد ركز أيضًا على كون القرآن كتابًا مؤلفًا والرسول مجرد تلميذ انقلب على أساتذته اليهود ؛ حتى إنه عرف الإسلام على أنه يهودية عربية للتشابه الكبير كما يدعي .

●●●

وقد بالغ في تبني وتأييد النظرية الاستشراقية القائلة بأن الإسلام هو يهودية تلائم العرب بمتغيراتهم ، لا سيما وأن القرآن دافع عن اليهود -حسب زعمه- فيما يتعلق بتهمة قتل المسيح عليه السلام ؛ بتأكيده أن المسيح رفع

للسماء ، ويدعي أن لغة القرآن تشبه كثيراً لغة التوراة ، إلا أنه مملوء بالتناقضات الداخلية !! .

مآخذ على الترجمات العبرية:

وفي دراسته المهمة قدم الباحث «عامر الزناتي» نماذج لأبرز التحريفات اليهودية ؛ منها تحويلها للون البقرة التي ورد ذكرها في الآية 69 من سورة البقرة من صفراء إلى حمراء ؛ ففي القرآن تعد البقرة الصفراء فاقعة اللون إحدى معجزات سيدنا موسى عليه السلام لإحياء الموتى ؛ حتى يقنع بني إسرائيل ، لكن البقرة الحمراء تحولت إلى إحدى الأساطير الصهيونية المرتبطة ببناء الهيكل ؛ حيث تعد أهم شروط بنائه حرقها ونثر ترابها لتطهير أرض الهيكل ، كما أن هذا التحريف محاولة منهم لتأكيد زعمهم حول تقليد القرآن للتوراة . ومن هذه النماذج أيضا الآيات 34 من سورة التوبة و93 و11 من سورة آل عمران و51 من سورة النساء وغيرها ؛ وذلك لرفع شأن اليهود وإبعاد الجرائم العالقة بهم عنهم ، وتبرير إدانة القرآن لهم بكره الرسول ﷺ .

قصور كبير في اللغة العبرية وعجز في إمكانية نقل بعض أوجه الإعجاز القرآني من خلال الترجمات ومن ذلك الالتفات

● أما الدراسة الثانية «إشكالية الترجمة للأوجه البلاغية في الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم» فتؤكد على أنه رغم التشابه الكبير بين أوجه البلاغة في اللغتين العربية والعبرية فإن هناك قصوراً في الأخيرة ؛ من ذلك عدم إمكانية نقل بعض أوجه الالتفات (وهو مصطلح لغوي) مثل الالتفات المعجمي بين (سنة - عام) ، (البحر - اليم) ، وبعض أوجه الالتفات على مستوى الصيغ بين (نزل - أنزل) ، (نُجي - أنجي) ، (ضلال - ضلالة) ، وكذلك المخالفة على مستوى الإعراب ، والمخالفة بين المذكر والمؤنث التي تخضع لطبيعة كل لغة على حدة ، وكذلك عدم إمكانية نقل بعض أنماط

التقديم والتأخير ؛ الأمر الذي يؤكد على استحالة نقل الإعجاز القرآني إلى أي لغة غير العربية ، وأن محاولة ترجمة القرآن الكريم ما هي إلا محاولة لترجمة معناه وجزء من مبناه ، دون الإلمام التام بهذا المعنى ومعانيه المعجزة .

● وقد أكد كل من «ركندورف» في ترجمته للقرآن في القرن التاسع عشر والمستشرق الإسرائيلي «د .أهارون بن شمش» في ترجمته عام 1971 للقرآن الكريم من العربية للعبرية من خلال عدم التزامهما بالظواهر البلاغية على عدم إدراكهما لجمال التعبير القرآني ، وقصور فهمهما عنه ، كما تأكد أنهما وإن التزما في عدد من الآيات فإن مبدأ التدخل في النص المقدس عند كل منهما بالتعديل والتغيير والتبديل يجعل ترجمتهما قاصرة عن أن تؤدي معنى القرآن الكريم ؛ لما يحملانه من ضغينة ضد الإسلام ورسوله الكريم ؛ فهما مجرد صدى لما أقره المترجمان في مقدمتيهما ، ولما سار عليه الاستشراق الغربي زمنًا طويلاً - وما زال - من القول بأن القرآن ما هو إلا ترهات وأكاذيب جمعها الرسول ﷺ من المصادر اليهودية والمسيحية بل والجاهلية القديمة ، وخرجت لنا في عباءة جديدة هي الإسلام ، وأن أسلوبه ليس جديراً بالاهتمام به ؛ وهو ما يؤكد عدم أمانة كل منهما تجاه الأصل .

المترجمان لم يترجما القرآن لإحداث تواصل بين الأديان؛ بل ترجماه لإظهار ما يعتقدانه فيه من قصور وعيوب

● فالمترجمان لم يترجما القرآن لإحداث تواصل بين الأديان ؛ بل ترجماه لإظهار ما يعتقدانه فيه من قصور وعيوب ؛ محاولة منهما للطعن في القرآن الكريم أو في شخصية الرسول ﷺ وتكذيبه فيما يدعيه من النبوة والرسالة للنيل من الإسلام والمسلمين ، خاصة أن الدراسة أثبتت أن عدم نقل أوجه البلاغة القرآنية في إطار ظواهر علم المعاني بصفة خاصة رغم وجود نظيراتها

●●●

في اللغة العبرية هو قصور من المترجم وتعمد واضح منه ، وليس قصور لغة (مع إقرار الباحث بوجود قصور لغوي في بعض الجوانب) ، إلا أن هذا ليس في عموم الظاهرة ، وهو ما أمكنه من التفريق بين خطأ المترجم وقصوره ، والقصور اللغوي ؛ فقد أثبتت الدراسة عدم وجود قصور في الترجمات العبرية للقرآن الكريم بسبب اللغة إلا بنسبة ضئيلة ، وفي مواضع معلومة ؛ نظراً للفارق اللغوي بين اللغتين خلافًا لما تعمده كل من (ركندورف) و(بن شمش) من عدم الالتزام في غالبية الأحيان بالظاهرة القرآنية ؛ وهو ما يؤكد قصور ترجمتيهما عن معنى الأصل .

● وأكد البحث على ضرورة الاعتماد على منهج التكافؤ الشكلي في ترجمة معاني القرآن الكريم ؛ باعتباره أنسب المناهج لنقل جزء من بلاغة القرآن خلافًا لمنهج التكافؤ الدينامي الذي يسعى لنقل المعنى العام للآية دون اهتمام بمبناها وأثره في هذا المعنى .

منهج التكافؤ الشكلي في ترجمة معاني القرآن الكريم، يعدّ أنسب المناهج لنقل جزء من بلاغة القرآن خلافًا لمنهج التكافؤ الدينامي

● وأوصى البحث بضرورة الاهتمام بترجمة «ريفلين» التي ظهرت عام 1936 ، ومحاولة تصويب ما بها من هنات وأخطاء ، وإصدارها في طبعة جديدة تحمل هذه التصويبات ؛ لتكون وسيلة نافعة في نقل معاني القرآن الكريم إلى القارئ اليهودي حتى يتسنى له الاطلاع على هذا الكتاب الكريم دون تدخل من المترجم ؛ بل تحت إشراف عربي مسلم بما يساعد في خدمة هذا الدين ، بالإضافة لكون هذه الترجمة هي المعول عليها من قبل الباحثين الإسرائيليين المنصفين واليهود عند تعاملهم مع القرآن الكريم . مقال لـ (أحمد فوزي حميدة صحفي مصري) موقع إسلام أون لاين (www.islamonline.net)

● هذا وقد كشف الدكتور محمد العوفي ، الأمين العام لمجمع الملك فهد

●●●

لطباعة المصحف الشريف لجريدة (الشرق الأوسط) ، أن المجمع يعد لمشروع ترجمة معاني القرآن الكريم من اللغة العربية إلى عدد من اللغات ، بينها العبرية ، وذلك ضمن مشاريع الطباعة والترجمات التي تعد من المهام الرئيسية للمجمع . (الخميس 14 ذو القعدة 1426 هـ 15 ديسمبر 2005 العدد 9879)